المحاضرة الثانية

حضارات الجزائر في ما قبل التاريخ

قبل كل شئ يطلب من الطالب الرجوع الي بعض المصادر و المراجع لهذه المحاضرة :

- أحمد توفيق المدني ، جغرافية القطر الجزائري للناشئة الاسلامية، مطبعة دمشق.
- مبارك بن محمد الميلي الجزائري، تاريخ الجزائر في القديم والحديث محمد الميلي، المؤسسة الوطنيّة للكتاب الجزائر، 1986م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن.كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر،ج6.
- صديق حسن خان ،لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان، دار الكتب العلمية،بيروت،1985.

أصل سكان الجزائر في ما قبل التاريخ:

دل القران الكريم ان البشر كلهم من نسل آدم عليه السلام، وانه هلك جميعهم في الطوفان على عهد نوح عليه السلام ولم ينج الا من ركب معه في السفينة ولم يبقي منهم الا ابناؤه لقوله تعالي:{ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ}[1]، واتفق المؤرخون على ان أبناء نوح الذين تفرعت عنهم جميع امم المدنيا ثلاثة :سام، حام، يافث[2].

اذ يذكر الطبري في تفسيره لهذه الاية نوح هم الذين بقوا في الأرض بعد مَهْلِك قومه، وذلك أن الناس كلهم من بعد مَهْلِك نوح إلى اليوم إنما هم ذرية نوح، فالعجم والعرب أولاد سام بن نوح، والترك والصقالبة والخَزَر أولاد يافث بن نوح، والسودان أولاد حام بن نوح، وبذلك جاءت الآثار، وقالت العلماء. حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا ابن عَشْمَة، قال: ثنا سعيد بن بشير، عن قتادة، عن الحسن، عن سَمُرة، عن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، في قوله) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (قال " :سام وحام ويافث[3]."

بني كنعان:

هم أهل الشَّام وَإِنَّمَا سمي الشَّام شاما لسكنى سَام بن نوح بِهِ وسام اسْمه بالعبرانية شام بِالْمُعْجَمَةِ وَقيل تشاءمت بِهِ بَنو كنعان هُوَ ابْن حام ابْن نوح وَسَار مِنْهُم طَائِفَة إِلَى شمال افريقيا وهم الامازيغ.حيث اخْتلف فيهم اخْتِلَافا كثيرا فَقيل أَنهم من ولد حام وهم يَزْعمُونَ أَنهم من ولد قيس عيلان وصنهاجة مِنْهُم تزْعم أَنَّهَا من ولد أفريقس الْحِمْيَرِي وزناتة مِنْهُم تزْعم أَنَّهَا من لخم وَالأَصَح انهم من ولد كنعان ابْن مازيغ بن حام.

وقد ذكر ابن خلدون في أبناء يافث قطوبال ثم ذكر الامم المتفرعة عنه فقال" :واما قطوبال فهم أهل الصين من المشرق، واللمان من المغرب ويقال ان أهل أفريقية قبل البربر منهم، وان الافرنج ايضا منهم. ويقال أيضا أن أهل الاندلس قديما منهم" [4].

فإذا صحت هذه الرواية فان قدماء شمال أفريقية وبلاد الفرنجة والاندلس من ذوي رحم. ولهم اخوة مع الصين بالشرق. وعلى هذه الرواية يكون شمال أفريقية اقدم عمارة من جنوب أوروربا، لان أبناء قطوبال لا شك انهم مروا بمصر- حسبما هدت اليه الآثار- ثم نزلوا أفريقية الشمالية. وقد كان البحر الرومي - اذ ذاك- قليل الماء ومتصلا باوربا من جهة صقلية ومضيق جبل طارق) .وقد ذكروا ان الذي حفر بوغار جبل طارق هو هرقول وقيل الاسكندر[5] .

والاول اصح فان هرقول متقدم الزمن جدا. اما الاسكندر فمن المحقق ان الفينيقيين- وهم اقدم منه- اجتازوا الى الاندلس في سفن) اواخر الالف الثاني قبل الميلاد (فانتقل بعض أبناء قطوبال من أفريقيا الى جنوب أوربا برا- اذ لا سفن لهم في ذلك الحين.

والبربر عنصر مهاجر، جاء من الشرق الأدنى، في نحو الألف الرابع قبل الميلاد. والبربر من بلاد المغرب وأنّ أفريقش بن قيس بن صيفيّ من أعاظم ملوكهم الأول وكان لعهد موسى عليه السّلام أو قبله بقليل غزا إفريقية وأثخن في البربر وأنّه الّذي سمّاهم بهذا الاسم حين سمع رطانتهم وقال ما هذه البربرة فأخذ هذا الاسم عنه ودعوا به من حينئذ وأنّه لما انصرف من المغرب حجز هنالك قبائل من حمير فأقاموا بها واختلطوا بأهلها ومنهم صنهاجة] ٣ [وكتامة ومن هذا ذهب الطّبريّ والجرجانيّ والمسعوديّ وابن الكلبيّ والبيليّ إلى أنّ صنهاجة وكتامة من حمير وتأباه نسابة البربر وهو الصّحيح[6] .

قبل التواجد الفينيقي عرف شمال إفريقيا باسم ليبيا .والذين أطلقوا هذا الاسم على هذه المنطقة هم المصريون واليونانيون، واستعمل المؤرخ الإفريقي هيرودوتس (القرن الخامس قبل الميلاد) كلمة ليبيا ليدل بها على كل الشمال الإفريقي الواقع إلى الغرب من مصر .فقد أطلق الفينيقيون لفظ أفري) aphri)على المناطق التي كانت تجاور عاصمتهم قرطاج الحديثة، وبقي اسم ليبيا مقتصرا على الجزء الشرقي من المغرب طرابلس وبرقة إلى جانب إقليم نوميديا التي يمتد ما بين مدينة طبرقة شرقا وبجاية غربا مشتملا على عمالة قسنطينة وجزء قليل من غرب تونس .

الجزائر قبل توافد البربر :

عثر الباحثون في الوطن الجزائري على آثار لأهل العصر الحجري، وهي إما منازل لإحيائهم، وإما قبور لموتاهم. وإما آلات لحياتهم من مصنوعاتهم وإما أشياء من مقتنياتهم.

المنازل :

أما المنازل فقد وجدت آثارها بالاماكن المرتفعة والكهوف على مقربة من العيون والاودية. وعلة نزول الهضاب والكهوف التمكن من حماية انفسهم من الحيوانات الضارية، والامتناع من الاعداء الهاجمين. وحكمة الاقتراب من الماء البارز على سطح الارض سهولة التزود منه، لبساطة حياتهم وقلة اختبارهم للطبيعة.

ومن المنازلى المكتشفة منزل قرب معسكر ومنازل اخرى بجهات وهران، الجزائر، سعيدة، عين مليلة، سطيف، العين البيضاء، تبسة.

وقد عبر المؤرخون عن انه كان قدماء أفريقية الشمالية قبل البربر لاعتقاد جمهور المؤرخين أنهم اول من عمرها. والصواب انهم مسبوقون بأمة **العصر الحجري** وهي غير أمة البربر. أفصحت عن ذلك رواية ابن خلدون، ويعضدها قول ستيفن غسال نفسه أثناء الحديث عن القبور الاثرية" :والبربر ينسبون هذه القبور الى الجهلاء. وهؤلاء كانوا وثنيين وانقرضوا منذ دهر بعيد جدا ."اذ لا يخفى ان البربر لم ينقرضوا، إنما انقرضت الأمة التي سبقتهم الى شمال افريقية وهي أمة العصر الحجري.

وتشابه لغات هذه الامم شاهد آخر يضاف الى ما تقدم من الشواهد على صحة رواية ابن خلدون التي صدرنا بها الكلام على أصل قدماء الجزائر. ثم وقوف الشبه من جهة الغرب في جنوب أروبا وامتداده من جهة الشرق مما يؤيد رأينا السابق ان أبناء قطوبال اتوا على مصر الى أفريقية ومنها ذهبوا الى ما يليهم من أروبا[7].

آثار تلك الامم :

و قد تمثلت في تلك الحضارات التي قامت في شمال افريقيا خلال العصر الحجري القديم و الاوسط و الحديث التي بدأ فيها الانسان يهتدي الي العالم الذي يحيط به و الحياة من حوله و أسلوبها حتي تتدرج الي الكتابة و ما خلفه وراءه من تأريخ لمرحلته تلك تمثلت في المناطق التي عمرها التي عرفت بالحضارات من بعده مثل :

الحضارة العاترية ، الحضارة الموستيرية ،، الحضارة القفصية.

كهف الدببة:

يقع هذا الموقع بمنطقة سيدي مسيد على بعد 2 كلم شمال وسط مدينة قسنطينة وهو عبارة عن كهف طوله 60 م . أظهرت الحفريات التي أجريت به سنوات 1907 _ 1908 من طرف الباحث دوبريج وهذا ضمن طبقات على وجود أدوات حجرية من مادة الكوارتز والصوان تعود إلى العصر الحجري القديم الأوسط كالشظايا والنصال إلى جانب الأدوات ذات العنق وأدوات حجرية ترجع إلى العصر الحجري الحديث مثل الفؤوس المصقولة والمدقات إلى جانب صناعة عظمية عبارة عن مخارز وإبر بإضافة إلى اشقف فخارية مختلفة . كما بينت التنقيبات على

وجود عظام حيوانية كعظام الدب ،الفهد ، الضبع ، الغزال ، الضبي الإفريقي ، الأروي ، والثور البدائي . إضافة إلى هذا وجب الإشارة إلى الطبقات العليا للكهف عرفت وجود بعض الأدوات الفخارية الرومانية وهو ما يدل على أن الكهف قد تم استغلاله من طرف الإنسان الروماني كل هذه البقايا محفوظة ومعروضة بقاعة ما قبل التاريخ بمتحف سيرتا قسنطينة[8].

[1] سورة الصافات ،الاية 77 .

[2]مبارك بن محمد الميلي الجزائري ا،لمرجع السابق،ص64 .

[3] تفسير الطبري ، ص 449 .

[4] ابن خلدون، عبد الرحمن.كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر،ج6 ، ص 10 .

[5]المرجع السابق،ص 65 .

[6] ابن خلدون ، ص16 .

[7] مبارك الميلي ، المرجع اسابق ، ص74 .

[8] لعناني نجمة ، محاضرات في مقياس الأثار في الجزائر، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ص 2.